جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

نظرية عمود البلاغة عند الخطابي

The theory of the column of rhetoric according to Al-Khattabi

إعداد

أ.د/ محمد بن عامر بن سعد الصويغ

أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأمير سطام
المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الأول (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

نظرية عمود البلاغة عند الخطابي

أ.د/ محمد بن عامر بن سعد الصويغ

قسم اللغة العربية بجامعة الأمير سطام ، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: m.alswigh@psau.edu.sa

الملخص:

موضوع البحث: يتناول البحث نظرية (عمود البلاغة) عند الخطابي أحد علماء القرن الرابع الهجري للوقوف على مفهومها ومصادرها وبيان أثرها ومكانتها وأبرز التطبيقات التي طبقها في كتابه بيان إعجاز القرآن.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إبراز مكانة نظرية (عمود البلاغة) وصلتها بالنظريات التي سبقتها، والفروق بينها وأثرها على بيان إعجاز القرآن الكريم ، وبيان الأسس التي انطلق منها الخطابي لترسية قواعد هذه النظرية.

أهم النتائج: أن لهذه النظرية مكانتها العلمية والتاريخية ، وأن لها صلة وثيقة ببيان إعجاز القرآن الكريم، وأنها أجابت عن كثير من الإشكالات التي حامت حول بعض الأساليب القرآنية ، وأن هذه النظرية قابلة للتطبيق الموسع على بلاغة القرآن الكريم واستظهار جمالياته.

أهم التوصيات: ضرورة العناية بالنظريات العلمية التي يتبناها العلماء في مدوناتهم لا سيما ما يتعلق بالإعجاز القرآني، والكشف عن المناهج التي انتهجها العلماء ليفيد منها الباحثون، والربط بين النظريات وتطبيقاتها، وطرق الإفادة منها وتوسيعها.

الكلمات المفتاحية: عمود البلاغة – الخطابي– الإعجاز البلاغي.

The Theory of the Rhetorical Column According to Al-KhattabiProf.

Dr. Muhammad bin Amer bin Saad Al-Suwaigh
Department of Arabic Language at Prince Sattam University, Saudi Arabia.
Email: m.alswigh@psau.edu.sa

Abstract:

Research Topic: *This study investigates the theory of ʿAmūd al-Balāgha (The Pillar of Rhetoric) as formulated by al-Khaṭṭābī, a prominent 4th-century AH scholar. The research seeks to define the concept of this theory, trace its sources, evaluate its significance and impact, and highlight its main applications in al-Khaṭṭābī's seminal work Bayān Iʿjāz al-Qurʾān.*

Objectives: *The study aims to underscore the importance of the ʿAmūd al-Balāgha theory, examine its relationship to earlier rhetorical theories, identify its distinctive features, and assess its role in elucidating the inimitability of the Qur'an. Furthermore, it seeks to outline the methodological foundations upon which al-Khaṭṭābī established the principles of this theory.*

Findings: *The research concludes that the ʿAmūd al-Balāgha theory possesses substantial scholarly and historical significance, that it is intrinsically linked to the study of Qur'anic inimitability, and that it effectively addresses many of the interpretive challenges associated with certain Qur'anic styles. Moreover, the study demonstrates that this theory provides a robust framework for the broader analysis of Qur'anic rhetoric and for uncovering its aesthetic dimensions.*

Recommendations: *The study emphasizes the need to give due consideration to the scientific theories advanced by classical scholars, particularly those concerned with Qur'anic inimitability. It also calls for further investigation into the methodologies employed by these scholars, with the aim of enabling contemporary researchers to benefit from them, establishing stronger connections between theories and their practical applications, and expanding the scope of their utilization.*

Keywords:

Keywords: *ʿAmūd al-Balāgha – al-Khaṭṭābī – Qur'anic Rhetorical Inimitability*

"The authors extend their appreciation to Prince Sattam bin Abdulaziz University for funding this research work through the project number (PSAU/2025/v3/15k) "

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن دراسة القرآن الكريم توقف الباحث على كثير من الأساليب البلاغية العالية التي لا يبلغها البشر، ولذا كان القرآن الكريم المعجزة الباقية الشاهدة بوحدانية الله وقدرته وعلوه على خلقه.

ويأتي هذا البحث ليسهم في الكشف عن نظرية علمية نهض بها عالم له قدم صدق في فهم القرآن الكريم ومعانيه والحذق في اللغة وبلاغتها، يتجلى ذلك في جهوده العلمية لا سيما في كتابه (بيان إعجاز القرآن).

وحين تأملت في هذه النظرية وجدت أن لها قيمة علمية؛ لأنها تتصل بإعجاز القرآن الكريم من جهة وأنها تنعكس بجلاء على تطبيقات البلاغة القرآنية وتسهم في الكشف عن جماليات الأسلوب القرآنية وبديع خطابه، ولذا جاء هذا البحث معرفا بهذه النظرية، واقفا على أبرز سماتها وأصولها وامتدادها وتطبيقاتها المتنوعة.

موضوع البحث:

يتناول البحث نظرية (عمود البلاغة) عند الخطابي من خلال بيان مفهومها، وأسباب ظهورها، وعلاقتها ببيان إعجاز القرآن الكريم، وإبراز منطلقاتها وتطبيقاتها التي كشفت بعض أسرار البلاغة القرآنية وجمالياتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدة تساؤلات، وهي: هل لهذه النظرية صلة ظاهرة بالإعجاز البلاغي؟ وهل تختلف عن النظريات الأخرى المفسرة لإعجاز القرآن؟ وهل لها منطلقات اعتمد عليها الخطابي؟ وكيف يستفاد منها في بيان البلاغة القرآنية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في دراسة نظرية لها مكانتها الخاصة من جهة موضوعها (الإعجاز القرآني)، ومن جهة صاحبها (الخطابي) الذي مزج بثقافته الواسعة بين علوم الشريعة لا سيما القرآن الكريم واللغة العربية، وتبرز الأهمية في أن هذه النظرية واجهت الشبه البلاغية التي أثيرت حول القرآن الكريم وبين أصولها، ثم درت عليها بما يتماشى مع قواعد اللغة وطريقة العرب.

أهداف البحث:

أولا: بيان مفهوم نظرية (عمود البلاغة) وصلتها بالنظريات الأخرى.

ثانيا: إبراز مسببات ظهور النظرية وأهم منطلقاتها.

ثالثا: استعراض أبرز الشبه التي أثيرت حول الأسلوب القرآني وقدرة هذه النظرية على مناقشتها والرد عليها.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث أن أسلك فيه المنهج الاستقرائي الوصفي القائم على تتبع النظرية، المصاحب للوصف والتحليل والدراسة.

حدود البحث:

يتناول البحث نظرية (عمود البلاغة) عند الخطابي في كتابه (بيان إعجاز القرآن) مع دراسة التطبيقات التي ذكرها ونص عليها والشبه التي رد عليها من خلال النظرية.

إجراءات البحث:

أولا: وقفت مع الخطابي مبرزا حياته العلمية وآثاره ومكانته عند العلماء.

ثانيا: بينت مفهوم النظرية ومسببات ظهورها.

ثالثا: جمعت الأصول التي انطلق منها الخطابي وبنى عليها النظرية.

رابعا: استخلصت السمات والخصائص التي ميزت هذه النظرية .

خامسا: حصرت الآيات التي استشكل بعضهم أسلوبها، ورد الخطابي.

سادسا: درست هذه الردود وبينت علاقتها بلغة العرب والمصادر التي قامت عليها.

سابعا: جمعت الآيات المتشابهة والأقوال المتقاربة وجعلتها في مكان واحد.

الدراسات السابقة:

لم أجد – حسب اطلاعي– على بحث أفرد هذه النظرية بالدراسة وبيان مفهومها وأسباب ظهورها ومنطلقاتها وخصائصها وسماتها، والشبه التي أوردها الخطابي وطريقته في الرد عليها ومنهجه الذي اتبعه في ذلك.

الجديد في البحث:

حاول البحث أن يجلي معالم جديدة لنظرية (عمود البلاغة)، تتمثل في بيان امتدادها التاريخي وعلاقتها بالآراء التي سبقتها وبيان مميزاتها، ومن جديد البحث الوقوف على المشكل الأسلوبي ومناقشته علميا بناء على النظرية مع بيان مسبباته والرد عليه وعرض الآيات المتماثلة أسلوبا، مع ربط ذلك كله بلغة العرب وطريقة كلامهم والاستشهاد على ذلك شعرا ونثرا.

خطة البحث:

قسّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة، وتشتمل على: موضوع البحث، ومشكلته، وأهميته، وأهدافه، والمنهج المتبع في الدراسة، وحدود البحث وإجراءاته، والدراسات السابقة، والجديد الذي قدّمه البحث.

التمهيد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخطابي: حياته، وعلمه.

المبحث الثاني: نظرية (عمود البلاغة) وعوامل ظهورها.

الفصل الأول: الدعائم الثلاثة للنظرية.

الفصل الثاني: منطلقات النظرية:

أولا: نفي الترادف.

ثانيا: البناء على اللغة القديمة.

ثالثا: السياق.

الفصل الثالث: أصول الاعتراضات التي أجابت عليها النظرية:

الأصل الأول: الاستعمالات الشائعة.

الأصل الثاني: تأليف الكلام.

الفصل الرابع: مميزات النظرية ومكانتها:

أولا: تصحيح المفاهيم.

ثانيا: النظر في استعمالات العرب شعرا ونثرا.

ثالثا: توسيع البحث في الآيات المماثلة.

رابعا: الموازنة بين الألفاظ والتراكيب.

خامسا: استعراض الإشكالات البلاغية والإجابة عنها.

سادسا: توظيف القواعد الشرعية في حل الإشكالات القرآنية.

سابعا: الإفادة من القواعد المنطقية.

التمهيد:

المبحث الأول: الخطابي: حياته، وعلمه

هو حمد[١] بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي[٢] البُسْتي[٣] يكنى بأبي سليمان، وُلد بمدينة بُسْت، سنة بضع عشرة وثلاثمائة، وقيل: ولد في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

قال الذهبي:" وعُنِي بهذا الشأن متنًا وإسنادًا، ورحل في طلب العلم، وسمع من: أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، ومن إسماعيل بن محمد الصفار وطبقته ببغداد، ومن أبي بكر بن داسة وغيره بالبصرة، ومن أبي العباس الأصم، وعدة بنيسابور"[٤].

لم يكن الإمام الخطابي من المكثرين في التصنيف، ولكنه من المجيدين فيه، ومن أهم مصنفاته:

- "معالم السُّنَن"، مطبوع، وسيأتي الكلام عنه في المبحث التالي.

---

(١) هكذا اسمه على الصحيح بدون همز، قال الذهبي: " والصواب في اسمه: حمد، كما قال الجم الغفير"، سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء لمجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ١٧/ ٢٦.

(٢) الخطَّابي: بفتح الخاء المعجمة، وتشديد الطاء المهملة، وبعد الألف باء موحدة، وهذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور، وفَيَات الأعيان لابن خلكان، المحقق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت ٢/ ٢١٥.

(٣) البُسْتِيُّ: بضم الباء وسكون السين، نسبة إلى مدينة بُسْت، قال ياقوت الحموي: " مدينة بين سجستان، وغزنين، وهراة، وأظنها من أعمال كابل"، معجم البلدان لياقوت الحموي الناشر: دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م ١/٤١٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣-٢٤.

- "أعلام الحديث"، مطبوع بتحقيق: محمد بن سعد آل سعود، في رسالة علمية، وطبعه مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى.
- "غريب الحديث"، مطبوع بتحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، طبعه: مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، عام ١٤٠٢هـ.
- "العُزْلة"، مطبوع بتحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، سنة ١٤٠٧هـ.

وقد بلغت مؤلفاته ثلاثة عشر مؤلفًا، أغلبها مطبوع ومتداول بين طلبة العلم.

ولهذه الآثار العلمية وغيرها أثنى عليه جمعٌ من أهل العلم، ومن ذلك: قال أبو طاهر السلفي: " وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده، وأمانته، وكان قد رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوف، ثم ألف في فنون العلم وصنف"[١]، وقال الذهبي:" وكان ثقة متثبتًا، من أوعية العلم"[٢]، وقال السمعاني: "إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة"[٣].

توفي – رحمه الله – سنة ٣٨٨هـ [٤].

---

(١) معالم السنن، وهو شرح لسنن أبي داود، طبَعهُ وصححه: محمد راغب الطباخ، في المطبعة العلمية بحلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م، ٤/ ٢٧٥،٢٧٦.

(٢) تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨ م، ٣/ ١٤٩.

(٣) الأنساب للسمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان ودار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ٢/ ٣٨٠.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢١٥.

المبحث الثاني: نظرية (عمود البلاغة) وعوامل ظهورها

العمود في اللغة: عمود البيت، وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء، والجمع أَعْمِدة وعُمُد، وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به، والعميد السيد المعتمد عليه في الأمور أو المعمود إليه [١].

وإذا أضيف إلى البلاغة خرج المصطلح الذي ارتضاه الخطابي لبلاغة القرآن الكريم؛ إذ رام بذلك الأساس الذي تقوم عليه بلاغة القرآن الكريم والأصول والعناصر التي تعود إليها، وهذا كله مستوحى من المعنى اللغوي.

وقد سبق الخطابي إلى هذا المصطلح (عمود) من قبل ناقدين: الجاحظ (ت٢٥٥هـ) والآمدي (ت٣٧٠هـ)، أما الجاحظ فجاء به مضافا إلى الخطابة (عمود الخطابة) قال: " أخبرني محمد بن عباد بن كاسب، قال: سمعت أبا داود بن جرير يقول: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الإعراب"[٢]، ويقول الجاحظ في موضع آخر: " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة وإنما هو أن يصرف وهمة إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام ... فما هو إلا أن يصرف وهمة إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا "[٣].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٢/ ٥١١، وانظر: لسان العرب لابن منظور، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ ٣/ ٣٠٣ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ، ٥٩/١.

(٣) السابق ٣/ ٢٠.

والجاحظ هنا يتحدث عن الأساس الذي تقوم عليه الخطابة عند العرب، وجاء بلفظ تصويري يشبه به الخصائص والسمات بالعمود الذي تقوم عليه الخيمة، فالكلام بناء لها أجزاء ومراتب، وهو لصيق حياة العرب حلا وترحالا، كالخيمة التي يأوي إليها العربي.

ثم جاء الآمدي في القرن الرابع بالمصطلح نفسه مضافا إلى الشعر (عمود الشعر) في موازنته بين أبي تمام والبحتري، يقول عن البحتري: " كان أعرابي الشعر مطبوعا، وعلى مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف"[1]، ولعل الآمدي استل هذا المصطلح من البحتري نفسه الذي قال حين سئل عن شعره وشعر أبي تمام: " كان أغوص على المعاني مني وأنا أقوم بعمود الشعر منه" [2].

ثم جاء الخطابي الذي عاصر الآمدي، ويظهر أنه تأثر بمشروع الموازنة، والتقط منه مصطلح (العمود) معالجا قضية حار فيها العلماء قبله، وهي بلاغة القرآن الكريم.

فإن العلماء قبله نظروا في بلاغة القرآن الكريم بغية استخراج سر إعجازه، ولأي شيء تحدى الله العرب به، وهم الذين برعوا في الفصاحة والبيان، فذكر بعضهم أن إعجازه عائد إلى أن الله سبحانه صرف همم العرب عن معارضته وإن كان أمرا مقدورا عليه، أي: أن الله سبحانه أعاق قدرتهم، وهذا أمر خارج عن العادات، فصار

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة ، المجلد الثالث: تحقيق / د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه) الناشر: مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م ١/ ٤.

(٢) السابق ١/ ١٢.

بذلك معجزا، وهذا مذهب المعتزلة، ومن أبرز من تبناه النظام[١]، ورده تلميذه الجاحظ في كتابه: (الاحتجاج لنظم القرآن)[٢].

ولم يرتض الخطابي هذا القول؛ استنادا لقوله تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ..." إذ أشار سبحانه إلى أمر طريقته التكلف والاحتشاد الذي يتطلب عملا وإرادة، والمعنى الذي ذكروه لا يلائم ذلك[٣].

ثم أورد الخطابي رأيا آخر في إعجاز القرآن لم يرتضه أيضا، وهو أن القرآن معجز لما تضمنه من الغيب، وعده الخطابي نوعا من أنواع الإعجاز ولكنه ليس شاملا لكل سور القرآن، فليست كل آية فيها حديث عن الغيبيات، واستدل الخطابي بقوله تعالى: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله "؛ إذ شمل التحدث كل آيات القرآن، سواء اشتملت على الغيبيات أم لا، مما يدل على أن كل سورة صالحة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها[٤].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١/١٧٩.

(٢) الكتاب مفقود، ولكن له إشارات في كتاب الرسائل للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م : ٣/ ٢٨٧.

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابي ومعه رسالة للقاضي عياض من كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، نشر: دار الصحابة للتراث بطنطا-مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ : ١٨.

(٤) السابق: ١٨.

الفصل الأول: الدعائم الثلاثة للنظرية

لم يكن الخطابي أول من ذكر أن البلاغة القرآنية وجه من إعجازه، إنما سبقه إلى ذلك غيره من العلماء، ولكنهم ذكروا ذلك دون أن يفصحوا عن معالم هذه البلاغة القرآنية التي صار بها معجزًا، قال الخطابي واصفًا ذلك: " إشكال أُحيل به على إبهام" [(١)]، ومن هنا لم يرتض الخطابي هذا الوصف العام والتمس للعلماء حيرتهم في الوقوف على ماهية بلاغة القرآن الكريم، فذكر أن القرآن الكريم جمع أقسام الكلام الثلاثة الفاضلة: العالي والمتوسط والأدنى، ومزج بينها مزجًا منتظما فأنتجت صفتين: الفخامة والعذوبة، وهما متضادتان إذا انفردت إحداهما؛ فالفخم جزلٌ وعرٌ، والعذب سهلٌ قريبٌ، لكن القرآن الكريم مزج بينهما وأدخل وعرها في سهلها " فكان اجتماع الأمرين في نظمة مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خُص بها القرآن "[(٢)].

وكلام الخطابي المتقدم لم يفسر بدقة ماهية البلاغة التي امتاز بها القرآن الكريم، ولم يزل القارئ في الإبهام الذي أحال إلى إشكال؛ لذا انتقل الخطابي إلى أن البلاغة القرآنية في ملاءمة الألفاظ للمعاني والسياق، وذلك أن الكلام البليغ يقوم على ثلاثة أركان: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وهذه الثلاثة لم تجتمع إلا في بلاغة القرآن كما يرى الخطابي، وإذا عُدنا إلى هذه الثلاثة نجدها عائدة إلى اثنتين: ملاءمة اللفظ للمعنى، وحسن تجاور الألفاظ في التراكيب والمعاني.

والأركان الثلاثة حوت الألفاظ والمعاني وربطت بينها، فالأول: اللفظ الفصيح

---

(١) بيان إعجاز القرآن : ١٩.

(٢) السابق : ٢١.

يليه: المعنى القائم وآخرها: الملاءمة بين المعنى وغرض المتكلم، وهذه القسمة الثلاثية لا انفكاك بينها، فاللفظ الفصيح يتضمن المعنى الذي يُلائم مراد المتكلم، يقول الخطابي: " فتفهّمِ الآن واعلم أنّ القرآن إنما صار مُعجزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني"، ولما كان الخطابي عالماً بالشريعة ربط بلاغة المعاني بأمرين: صحتها وجليل معناها، فأما صحتها فعائدة إلى من تكلم بها وهو الله سبحانه وتعالى " ومن أصدق من الله قيلا "، وأما قدرها فجليل؛ لأنها تحدثت عن " توحيد له عزت قدرته وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان بمنهاج عبادته..."[(١)]، ومن صحته عدم مخالفة للعقل السليم وصدق ما أخبر من أحداثٍ تاريخية من القرون الماضية، ويظهر حسن نظمه في تنسيقه البديع بين الشيء وضده كالأمر والنهي والتحليل والتحريم وتنسيق بين الشيء ولازمة كالحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه، وكل ذلك مصداق لوصف الله لكتابه" كتاب أحكمت آياته"، أي: جاءت في نظام متناسق متجانس كامل لا يلحقه نقص ككلام البشر: " لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا اللسان عربي مبين ".

وقد أكّد الخطابي تجلي هذه الأركان من خلال قدرتها على صدّ بعض الشبه التي نالت بلاغة القرآن الكريم، فمن ذلك قول بعضهم: إن القرآن الكريم قد بني على ألفاظ يعرفها العرب ويستعملونها في كلامهم ولا خاصية للقرآن في ذلك، وقد رد الخطابي هذا بعد أن عاد إلى هذه الأركان الثلاثة قائلا: " لم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون ما يتضمنه

(١) بيان إعجاز القرآن: ٢١.

من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم تأليفه"[1]، فليست العبرة بالألفاظ وحدها إنما في المعاني أيضا وفي الرباط الوثيق بين الألفاظ والمعاني وسياق الكلام.

ويرى الخطابي أن مُسَيْلمة قد جاء بمحاولة سخيفة لا وزن لها في الفصاحة والبيان؛ لأنها خالية عن الشرائط الثلاث التي ذكرها في نظريته، كذلك فلا ألفاظها صحيحة، ولا معناها مستقيم، ولا نظامها حسن، فالميزان البلاغي عند الخطابي لا ينهض إلا بعموده، وبعد أن ساق بعض غثاء مُسيْلمة في حديث عن الفيل، قال الخطابي راداً: " يقال الآن لصاحب الفيل: يا فائل: ... أين ما شرطناه من حدود البلاغة فيما جئت به من كلامك؟، وأين ما وصفناه من رسوم المعارضات فيما هذيت من جهلك وضلالتك؟، افتتحت قولك بالفيل، وما الفيل، وما أدراك ما الفيل، فهولت وروعت وصعدت وصوبت ثم أخلفت ما وعدت وأخدجت ما ولدت حين انقطعت، وعلى ذكر الذنب والمشفر، اقتصرت ولو كنت تعرف شيئا من قوانين الكلام وأوضاع المنطق ورسومه لم تحرف القول عن جهته"[2].

وتحدث الخطابي عن أثر البلاغة القرآنية القائمة على العمود الثلاثي، وأن لها صنيعاً عجيباً في القلوب، يبدأ باللذة في سماعه، ثم يسري إلى القلب روعة ومهابة، ثم انشراحا وطمأنينة، وأسمى مراتب التأثير القرآني أن يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة حتى يكون عدو الدين من رجاله المخلصين، ويلين قلب المستكبر المعرض، فينساق خاضعًا تحت لواء الدين، والقرآن الكريم أكد ذلك؛ ولذا ساق الخطابي بعض الآيات، كقوله سبحانه عن الجن: " إنا سمعنا قرآنا عجباً.."

---

(١) ص ٢٩.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٥٤.

وقوله: " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله " .

ويرى الخطابي أن هذه الشَّرائط الثلاثة ليست على درجة واحدة؛ فالألفاظ أدناها قربًا وأيسرها مأتى وأعلا منها المعاني " التي تحملها الألفاظ، فالأمر في معاناتها أشد؛ لأنها نتاج العقول وولائد الأفهام وبنات الأفكار"(١)، ونظم المعاني يعلو ما تقدم " فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه يتصل أخذ الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"(٢).

(١) بيان إعجاز القرآن: ٢٩.

(٢) السابق: ٢٩.

الفصل الثاني: منطلقات النظرية

عندما يتتبع القارئ نظرية (عمود البلاغة) يجد أن الخطابي قد أسس بنيانها على منطلقات قعّد عليها كلامه، وردّ فيها على مخالفيه، وأبان من خلالها أوجه البلاغة القرآنية، ومعرفة هذه المنطلقات تمكن الباحث من فهم النظرية، وبيان مكانتها، والإفادة منها، والإضافة عليها، ومن أبرز هذه المطلقات:

أولا: نفي الترادف:

ربما توهم بعضهم أن استعمال لفظ ما مكان لفظ قرآني يكون أعمق أثرا وأقوى دلالة، وطفقوا يستبدلون لفظا بآخر مقارب له، وهذا يعود إلى مسألة الترادف التي اختلف العلماء فيها(١)، ويقف الخطابي رادا لها ومبينا أن لكل لفظ معنى خاصا به، وإن اشترك مع غيره في المعنى العام، وإذا استُبدل لفظ مكان لفظ تغيرت بعض خصائص المعنى، وذلك من أسس نظرية (عمود البلاغة)؛ ولذا دعا الخطابي إلى " وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أُبدل مكانه غيره، إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة "(٢)، فلا يقوم عمود إلا على دقة الألفاظ ابتداءً، وضرب الخطابي أمثلة في التفريق بين بعض الألفاظ المتقاربة، كـ (العلم والمعرفة)، و(الحمد والشكر)، و(البخل والشح)، ثم أكد أن " لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في

---

(١) انظر كتاب: فصول في فقه العربية، د.رمضان عبدالتواب، القاهرة، مكتبة الخانجي : ١٩٩٩م : ٣١٠ ، ٣١١.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٢٣.

بعضها"[١]، وهذا الأمر في القرآن الكريم أشد وأصعب؛ لأن الله سبحانه أعلم بالألفاظ ودلالاتها، فإذا ارتضى لفظا لمعنى فلا لفظ آخر يقوم مقامه، وإن اشترك في معه في المعنى العام.

ولما كانت نظرية (عمود البلاغة) حفية بالألفاظ والمعاني، عمل الخطابي على استعراض بعض الألفاظ المترادفة في الآيات، وبيان الفروق الدقيقة بينها، فمن ذلك قول تعالى: (فأكله الذئب)؛ إذ اعترض بعضهم على قوله: (فأكله)؛ لأنه لا يختص بفعل السباع، والمختار في نظرهم أن يقال: (افترسه) [٢]، لكن الخطابي نظر في اللفظين اللذين ظاهرهما الترادف: (أكل – افترس)، وبيّن الفرق بينهما بناء على مراد المتكلم يقول: " القوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل؛ ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى "[٣]؛ لأنه يبقى معه شيء.

ثانيا: البناء على اللغة القديمة:

ناقش الخطابي بعض الاعتراضات على الأسلوب القرآني مرجعا الأقوال إلى أصولها، ومن تلك الأصول التي تنفي عن لغة القرآن هذه الادعاءات: اللغة القديمة الأولى التي استعملها العرب أول الأمر، واصطلحوا عليها، وذاعت على ألسنتهم، وليس العبرة بما جاء بعد ذلك؛ إذ سلك القرآن الكريم سبيل هذه اللغة، فجاء من جاء

(١) بيان إعجاز القرآن: ٢٣.

(٢) انظر: السابق : ٣٠.

(٣) السابق: ٣٣.

ونفى عن بعض الآيات موافقة اللغة الفصيحة، ومخالفة فصيح اللغة ينافي عمود البلاغة بلا ريب؛، لذا طفق الخطابي يبين بجلاء موافقة القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه للغة العرب، ومن ذلك وقوفه مع قوله تعالى: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم "؛ إذ أنكر بعضهم لحوق الباء بالمصدر (إلحاد)، وإدخال الباء ههنا كان مستعملاً في لغة العرب عند نزول القرآن الكريم، كقول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج[1]

وإنكاره جهل بلغة العرب القديمة، ومحاكمة لها باللغة المتأخرة التي جاءت بعد عصور الاستشهاد[2].

واستطرد الخطابي في هذا الشأن، وأفاض، وساق موقفاً عن رجل سأل بعض العلماء عن قوله تعالى: " لا أقسم بهذا البلد " فإنه نفى القسم ثم أثبته في موضع آخر، فقال سبحانه: " وهذا البلد الأمين "، فذكر له أن استشكاله كان بسبب جهله بلغة العرب، وأن ذلك كان مستعملاً في زيادة (لا)، وهم – أي: العرب– يريدون الإثبات، والقرآن الكريم نزل على رسول الله (ﷺ) بحضرة رجال كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، فلو كان هذا مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكنهم علموا أن العرب قد تدخل (لا) وتلغي معناها، وهذا جاء على نهج لغتهم الأولى قبل أن يدخلها التغيير كقول الشاعر:

---

(١) هذا البيت من الشواهد، ولا يعرف له قائل، ذكره صاحب كتاب: شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٧ م، ٢٤١/١.

(٢) انظر في كتاب: عصور الاحتجاج في النحو العربي، د. محمد إبراهيم عبادة: ٢٢٢.

في بئر لا حور سرى وما شعر(١)

يريد: في بئر حور سرى وما شعر.

وبيانا لما سبق يقول الخطابي: " فمن لم يقف على هذه الأسباب ثم قاس ما جمعه من تلاد الكلام الأول، واعتبره بما وجد عليه كلام الإنشاء من المتأخرين عيي بشيء كثير من الكلام وأنكره، وأما من تبحر في كلام العرب، وعرف أساليبه الواسعة، ووقف على مذاهبه القديمة، فإنه إذا ورد عليه منها ما يخالف المعهود من لغة أهل زمانه لم يسرع إلى النكير فيه والتلحين"(٢) .

ثالثا: السياق:

يؤكد الخطابي أن عمود البلاغة القرآنية في ملاءمة الألفاظ للمعاني والسياق، ونص على ذلك عندما ذكر أن الألفاظ والمعاني لا تنهض إلا برباط لهما ناظم، وهذا عين السياق، فإذا كان اللفظ حسنا والمعنى شريفا فلا مناص من حسن التجاور .

واهتمام الخطابي بالسياق كمال لهذه النظرية التي رآها، فليست تقدم الألفاظ على المعاني ولا العكس إنما تأتي على ذلك كله ليقوم العمود وينهض البناء، وأجد أن الأركان الثلاثة التي ذكرها الخطابي حاضرة في أغلب الأمثلة التي تناولها، فحديثه عن اللفظ يمزجه بمعناه وبالسياق اللغوي والسياق التاريخي والاجتماعي.

وليس كلام الخطابي تنظيرا فحسب إنما استحضره في تحليل الآيات القرآني والإجابة عن إشكالاتها، ففي قوله تعالى: " كما أخرجك ربك من بيتك..." استشكل بعضهم

---

١ البيت للعجاج

٢ بيان إعجاز القرآن: ٣٨

ورود الكاف الدالة على التشبيه في صدر الآية، فأجاب الخطابي استنادًا على السياق وربطًا له بالموقف التاريخي والمناسبة التي جاءت الآيات من أجلها، فالصحابة – رضي الله عنهم – استشكلوا أول الأمر قسمة الغنائم وكره بعضهم ذلك، فأمره الله أن يمضي لأمره في الغنائم على كُره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون أيضا، وكانت العاقبة في كلا الأمرين خير ونصر(١).

(١) انظر: بيان إعجاز القرآن: ٤٠، وانظر: تفسير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، ١١/ ٣٣.

الفصل الثالث : أصول الاعتراضات التي أجابت عليها النظرية

مما يميز هذه النظرية أنها تتبعت كثيرا من الشبه البلاغية المتعلقة بأسلوب القرآن الكريم، وأبانت أولا أصل الشبهة وحقيقتها وسبب ورودها، ثم الإجابة عنها من خلال الاعتماد على لغة العرب، وعند التأمل أجد أن لهذه الاعتراضات أصلين تعود وتدور في فلكهما:

الأصل الأول: الاستعمالات الشائعة:

ترد بعض الاعتراضات على الأساليب القرآنية تعود إلى مخالفة الاستعمالات الشائعة في اللغة، وتأتي على ثلاث صور:

الأولى: الاستعمالات الشائعة في الأفعال:

لكل فعل دلالة، وله سياق يكثر وروده فيه، وقد يظهر إشكال في إسناد بعض الأفعال لمخالفته الشائع، كما في قوله تعالى: " هلك عني سلطانيه "، فالفعل (هلك) أسند إلى السلطان، وهو أمر معنوي، والشائع أن هذا الفعل لا يستعمل إلا في تلف الأعيان الحسية، فأجاب الخطابي: أن هذا من قبيل الاستعارة التي هي أبلغ من الحقيقة أحيانا، فكأن السلطان صُور في هيئة محسوسة لها حياة وإدراك، ثم سلبت منها ونزعت، والاستعمال المجازي دارج في لغة القرآن الكريم، كقوله تعالى: " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار"، فالسلخ ههنا مستعار للإخراج، وهو أبلغ من قول: نخرج منه النهار، ثم إن الفعل (هلك) أبلغ من (ذهب) استنادا للمعنى؛ إذ الذهاب قد يكون على مراصدة العود، فكل ذاهب سيعود، وليس مع الهلاك بقيا ولا رجعى (١).

(١) انظر: بيان إعجاز القرآن: ٣٥.

الثانية: الاستعمالات الشائعة في الأسماء:

للأسماء باختلاف اشتقاقها دلالتها، وقد يرد استعمال اسم ما يخالف في سياقه المشهورَ عند بعضهم فيستشكل ذلك، ويرى أن اسما آخر أوجه منه، كما في قوله تعالى: " والذين هم للزكاة فاعلون"، والاستعمال الشائع أن يُقال: مؤدون، مؤتون، معطون، وليس الشائع دائما هو الأبلغ، ويرى الخطابي أن هذه الألفاظ وإن كانت متقاربة المعنى فإنها تخبر عن الفعل والأداء فقط، أما قوله: (فاعلون) فيدل على المبالغة في أدائها والمواظبة عليها حتى تكون لهم صفة لازمة، يقول الخطابي: "وهذا المعنى لا يستفاد على الكمال إلا بهذه العبارة ، فهي إذا أولى العبارات وأبلغها في هذا المعنى" (١).

الثالثة: الاستعمالات الشائعة في الحروف:

للحروف في اللغة معانٍ وغايات تأتي لأجلها، وترتبط في ذلك بسياقها، ولها استعمالات شائعة ذائعة جاء القرآن بها، وجاء ببعض الاستعمالات الفصيحة التي جهلها بعضهم فأنكرها، كاستشكالهم دخول حرف الجر بعد الأفعال المتعدية، وساقوا مثالا قوله تعالى: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم .." ، فالباء في قوله: "بإلحاد" موضع إشكال في نظرهم؛ لأنها زائدة، والأصل أن يقال: (ومن يرد فيه إلحادا) بالنصب، فأجابهم الخطابي بأن دخول حرف الجر على المفعول مما عرفته العرب في لغتها وارتضته على لسانها، كقول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج (٢)

---

(١) بيان عجاز القرآن: ٣٦.

(٢) سبق تخريجه.

وقول الآخر:

هُنّ الحرائر لا ربات أحمرة *** سود المحاجر لا يقرأن بالسور(١)

وهذا الأسلوب حاضر في آيات أخر، كقوله تعالى: " تَنبُتُ بِالدُّهْنِ"، وقوله تعالى: " أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى" (٢).

وجاء الاستشكال في حرف الجر (اللام) في قوله تعالى: " رَدِف لكم"؛ إذ رأى بعضهم أن اللام زائدة لمخالفتها لغة العرب، إلا أن الخطابي أكّد جواز ذلك لغة، وكذلك قولك: ردفته، كما يقول العرب: نصحت له ونصحته (٣)، وأرى أن وجود اللام فيه زيادة احتفاء وعناية بالمخاطب، فكأن الردف خاص به والنصيحة ليست إلا له، لمحبته وقدره.

الأصل الثاني: تأليف الكلام:

عني الخطابي بتأليف الكلام، وتناسقه، وعدّه أحد قواعد نظريته (عمود البلاغة)؛ لأن من سمات الكلام البليغ أن يكون متماسكا، وجعل بعضها بسبب من بعض، كما يقول عبد القاهر(٤)، وقد عرض الخطابي لمن استشكل شيئا من النظم القرآني، ويمكن أن نجعلها في أربع صور:

---

(١) القائل الراعي النميري، جمعه وحققه: راينهرت فاييرت، طباعة ونشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٤٠١هـ: ١٢٢.

(٢) انظر: بيان إعجاز القرآن : ٣٩.

(٣) انظر: السابق: ٣٦.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م : ٤٦٦.

الأولى: (كاف) التشبيه:

أجاب الخطابي عن زيادة الكاف في قوله تعالى: " كما أخرجك ربك من بيتك..."، فإن بعضهم استشكل الكاف؛ لعدم ملاءمتها لسياق الآيات، فأجاب الخطابي استناداً إلى السياق وربطاً له بالموقف التاريخي والمناسبة التي جاءت الآيات من أجلها(١)، ويشابه ذلك الكاف في قوله تعالى: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم "، فقد نظر الخطابي في سياق الآيات فرأى أن المقام امتنان من الله تعالى وعرفان، وقد سُبقت هذه الآية بذكر إتمام النعمة من الله على عباده، بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، ثم ذكر سبحانه نعمة أخرى وهي إرسال الرسول (ﷺ)، فالآيتان اشتركتا في تعداد النعم، يقول الخطابي مبينا معنى الكاف: " كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول فيكم من أنفسكم كذلك أتم نعمتي عليكم "(٢) بتحويل القبلة.

وقد يخفى أمر الكاف لتعلقه بمحذوف، كما في قوله تعالى: " كما أنزلنا على المقتسمين"، فإننا إذا نظرنا في السياق لم نجد ترابطا ظاهرا، فإن هذه الآية سبقت بقوله تعالى: " وقل إني أنا النذير المبين "؛ ولذا قدر الخطابي محذوفا في الكلام يساهم في تماسكه، وبيان غرض الكاف يقول: " فيه محذوف يدل ظاهر الكلام عليه، كأنه قال: أنا النذير المبين، عقوبة أو عذابا كما أنزلنا – أي: مثلما أنزلنا– على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين"(٣)، وإنما جعل الخطابي النذير المبين مقتصرا على العقوبة والعذاب؛ لأن النذارة المذكورة في الآية تدل عليه، وكذا ما جاء بعد ذلك من وصف لحال المخاطبين الذين كذبوا بالقرآن الكريم، وجعلوه عضين.

---

(١) وقد سبق تفصيل ذلك.

(٢) بيان إعجاز القرآن ٤٠.

(٣) السابق ٤٠.

الثانية: الحذف والتكرار:

يعد الحذف والإيجاز من صور البلاغة التي لها حضورها الواسع في لغة العرب، ولها اتصال وثيق بإبانة المعاني وجمالها وروعتها، ولذا قال بعضهم: (البلاغة الإيجاز)(١)؛ لأن المعاني إذا أوجزت وقرت في النفس وأثرت في الوجدان، وعجب الخطابي ممن عاب إيجاز القرآن الكريم وحذفه، يقول: " الإيجاز في موضعه وحذف ما يستغنى من الكلام نوع من أنواع البلاغة "(٢) سواء كان إيجاز حذف أو إيجاز قصر، ثم ذكر الخطابي علتين لفضيلة الحذف: " وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسن؛ لأن المذكور منه يدل على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه، ولأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به"(٣) فههنا فضيلتان:

الأولى: لفظية، وهي تقليل الكلام؛ لأن المذكور يدل على المحذوف، وفي ذكره إطالة وتمليل.

الثانية: معنوية، وهي تنشيط أهل العقول لإدراك المحذوف من الكلام بناء على المذكور، وضرب على ذلك مثلا بقوله تعالى: " ولو أنّ قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى"، وإذا نظرنا للآية معنى ألفيناها تتحدث عن عظمة القرآن الكريم وتأثيره حتى على الجمادات، فهذه الجبال لو نزل عليها القرآن لسارت من مكانها على ضخامتها، وهذه الأرض الممتدة لو نزل عليها القرآن لتصدعت وقُطِّعت أجزاءً، لكن الآية لم تصرح أي قرآن هذا؛ لأننا حين ننظر في

---

(١) مقولة لأكثم بن صيفي، انظر كتاب: أساليب بلاغية لأحمد مطلوب الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م : ٢٠٦.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٤٢.

(٣) السابق.

تركيبها نجد (قرآنا) منكرة غير معرفة، وحُذف جواب (لو) الشرطية الذي لو جاء لأبان أي قرآن هو، إلا أن السياق المذكور لا يشير إلى غير القرآن، فلا كان يعلوه ولا أحق بهذه منه، ولذا قدر الخطابي الجواب بقوله: " لكان هذا القرآن"(١) أي: فلو وُجد قرآن تُسيَّر به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى لكان هذا القرآن.

واستشكل بعضهم أسلوب التكرار في القرآن الكريم، كقوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) التي تكررت أكثر من ثلاثين مرة في سورة واحدة، وقوله تعالى: (ويل يومئذ للمكذبين) وغيرهما، والأصل أن التكرار يضعف الكلام وينفر المخاطب، إلا إن كان له علة، ولذا استهل الخطابي قوله بتقسيم التكرار إلى ضربين:

الأول: مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى؛ لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا، والقرآن منزه عن هذا.

الثاني: محمود، وهو الذي تقتضيه الحاجة وتدعو إليه، ويقابل الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، ثم ذكر الخطابي بعض دواعي التكرار، ومنها ما تعظم به العناية والاهتمام، أو ما يخاف بتركه وقوع الغلط أو النسيان أو الاستهانة بقدره(٢)، واستشهد الخطابي بطريقة العرب في تأكيد بالتكرار، كقول الشاعر:

يا آل بكر انشروا لي كليبا يا آل بكر أين أين الفرارا؟ (٣)

وقد نبه الله سبحانه أن التكرار في كتابه الكريم جاء لغرض وغاية: (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) فالتذكر يقابله النسيان الذي يثمر الإعراض والتكذيب، ولذا أعاد القرآن المعاني تذكيرا وتنويها بأهميتها، وإذا نظرنا في سورة

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٤٢.

(٢) انظر السابق: ٤٢.

(٣) البيت للمهلهل بن ربيعة، انظر: ديوانه بشرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية: ٣٥.

الرحمن نجد أن التكرار من هذا القبيل؛ إذ عدّد الله نعما للإنس والجن، وبعد كل نعمة يخاطبهم تذكيرا وتقريرا: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)؛ ولذا جاء في الحديث أن رسول الله (ﷺ) خرج على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد(١).

الثالثة: الإدراج في الكلام:

من سمات الكلام البليغ تماسك أجزائه وتلاحم مبانيه، وقد اعتنى القدماء بذلك فنظروا إلى الجملة كأكبر وحدة دلالية ودرسوا النص من خلالها، أما النصية الحديثة فتجاوزوا إطار المفردة والجملة إلى ما هو أوسع من ذلك .

ومن نظر في البلاغة القرآنية يجد أنها تجاوزت التجاور الحرفي الذي يصب في معنى واحد، بل ربما تعددت مشاهد السورة الواحدة وموضوعاتها وبينها رابط يشد من أجزائها، ويتفاوت الرابط في ظهوره من عدمه، فمن نظر في الرابط الذي يجمعه موضوع واحد ربما يستشكل بعض المواضع في كتاب الله، كما في قوله تعالى: " لا تحرك به لسانك لتعجل به، إنا علينا جمعه وقرآنه "، فقد اعترض بعضهم على بلاغة الآية؛ لعدم مناسبتها للسياق، فإنها سبقت بقوله تعالى: " بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره "، وجاء بعدها قوله: " كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة "، والرباط الناظم بين المعنى والسياق غير ظاهر، فذكر الخطابي أن الحاجة دعت إلى هذا الفاصل، فلا ينبغي تجاوزه، كقولك للرجل وأنت تحدثه فينشغل عنك: أقبل عليَّ واسمع ... ثم تعود إلى حديثك، فلا يكون الكلام قاطعا للأول، ثم ربط بين

(١) رواه الترمذي برقم (٣٢٩١) وسنده صحيح.

الآيات وحال النبي (ﷺ) وقت نزول القرآن الكريم، يقول الخطابي: " وكان رسول الله (ﷺ) أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل الوحي وسمع القرآن حرّك لسانه يستذكر به، فقيل له: تفهم ما يوحى إليك ولا تتلقنه بلسانك فإنا نجمعه لك ونحفظه عليك"(١).

الرابعة: النسق العام للسور:

من المميزات عند الخطابي: توسيع دائرة نظرية المناسبة القرآنية عن إطارها الضيق في المفردات أو الجمل لتشمل سورًا كاملة، وهذا ما دعت إليه النصية الحديثة في تجاوزها إطار المفردة والجملة إلى ما هو أوسع من ذلك، ورأوا أن دراسة النص باعتباره وحدة كاملة، ولذا يعرف (ماياندرش) النص بأنه " وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل "(٢).

وقد وسع الخطابي نظره في دراسة معاني الآيات وبلاغتها، ورد على من يرى أن الأنسب في بلاغة القرآن أن تكون معانيه متوزعة على سُورِه، فتنتهض كل سورة بمعنى واحد وتستوفيه ثم تأتي سورة أخرى بمعنى آخر وهكذا؛ لأن المتأمل في سور القرآن يجد أنها تجمع مواضيع متعددة في سورة واحدة، فأجاب الخطابي: " إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة، وفي الآي المجموعة القليلة العدد لتكون أكثر لفائدته وأعم لنفعه، ولو كان لكل باب منه

(١) بيان إعجاز القرآن: ٤١.

(٢) اللغة والإبداع الأدبي، د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر، ط: ١، ١٩٨٩م : ٣٦.

قبيل ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائدته، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له إذا سمع السورة منه لا تقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمنته السورة الواحدة فقط، فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظا واجدى نفغا من التمييز والتفريد للمعنى " (١).

هذا وإن كانت السورة الواحدة ذات شعب في المعنى فإنه متلائمة مترابطة بخيط رفيع ربما لا يظهر بادئ الأمر، بل يكون مستترًا يتطلب نظرا طويلا وتأملا للسياق العام للسورة وانتظام المعاني فيها، يقول الخطابي: "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه يتصل أخذ الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان "(٢).

(١) بيان إعجاز القرآن: ٤٤.

(٢) السابق ٢٩.

الفصل الرابع : مميزات النظرية ومكانتها

حتى تتجلى منزلة هذه النظرية لا بد من التعريج على بعض مميزاتها التي جعلتها حفية عند الخطابي، وحاضرة في الدرس البلاغي القرآني، ومن أبرز هذه المميزات:

أولا: تصحيح المفاهيم:

تنتشر بعض المفاهيم التي ينطلق منها الدارسون ويقعدون من خلالها لأبحاثهم، وبعضها فيه نظر لا يثبت على الواقع وإن حاز شهرة، وقد عرج الخطابي على بعضها في تطبيقات النظرية؛ لإثبات بلاغة القرآن الكريم، ومن ذلك: زعم بعضهم أن الغريب من أمارات الاقتدار في الكلام وقوته وبلاغته، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن ألفاظه معروفة مألوفة استعملها قبل في حديثهم فأي ميزة لهذه الألفاظ؟!

ويرى الخطابي أن كثرة الغريب ووفرته ليست أمارة على بلاغته كما زعموا، بل إن العرب ينفرون من وحشي الكلام ووعره ويرونه عيبا يشين الكلام، يقول الخطابي: "وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب الذين يذهبون مذاهب العنجهية ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له وليس ذلك معدودا في النوع الأفضل من أنواعه"(١) وليس معنى ذلك أن يكون الكلام مبتذلا سوقيا، إنما كلاما عذبا فخما يقول الخطابي: "وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة"(٢) .

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٣٠.

(٢) السابق: ٣٠.

ولما كان بعضهم يغفل عن لغة الاحتجاج التي نزل القرآن بها أكّد الخطابي على ذلك من خلال صدوره عن لغة العرب الأولى التي تُرك بعض استعمالاتها فيمن جاء بعدُ، فنزّلوا لغة القرآن الكريم على ما جاء متأخرا في لغة العرب وترتب على ذلك أن استشكلوا بعض الأساليب، ولذا كان الخطابي في تطبيقات النظرية يبين السبب في بعض الاعتراضات أن مرد ذلك الجهل بلغة العرب الأولى، كما في تعليقه على قوله تعالى: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم" وكقوله: "لا أقسم بهذا البلد" وغير ذلك.

ثانيا: النظر في استعمالات العرب شعرا ونثرا:

تمتاز نظرية (عمود البلاغة) باستحضارها أقوال العرب شعرا ونثرا، وبيان طرائقهم في الأساليب والمعاني والبناء عليها والاستشهاد بها، ففي معرض الحديث عن بلاغة اللفظ القرآني (أكل) في قوله تعالى: (فأكله الذئب)؛ إذ استشكل بعضهم إسناد الفعل (أكل) إلى (الذئب)، وهو من السباع، والأفضل – في نظرهم– الفعل (افترس)، فرد عليهم الخطابي بأن العرب أسندوا الأكل إلى السباع، واستشهد بقول الشاعر:

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى *** بصاحبه يوما دما فهو آكله (١)

وقول الآخر:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر *** فإن قومي لم تأكلهم الضبع (٢)

ثم أردف الخطابي بما تميزت به لغة العرب من الاتساع في استعمال الأفعال،

---

(١) البيت لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها، انظر: الأمالي لأبي علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، نشر: دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م: ٢/ ٨٥.

(٢) البيت لعباس بن مرداس، انظر: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب للأعلم الشنتمري، حققه وعلق عليه: الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م : ١٩٧.

فإن بعضها قد ينوب عن بعض، فالعقر يسمى أحيانا أكلا وكذلك اللدغ واللسع، وذكر عن بعض الأعراب: أكلوني البراغيث (١)، فجعل قرص البرغوث أكلا (٢).

وأكد الخطابي في نظريته سمو بلاغة القرآن الكريم في ألفاظها ومعانيها على كل كلام، وأن الخلل والخطأ قد يلحق كلام وإن كان من العرب الأوائل الذين يستشهد بقولهم، بل عاصروا زمن النبوة، واستشهد على ذلك بالحديث النبوي، فقد جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال : علمني عملا يدخلني الجنة، فقال: " أعتق النسمة وفك الرقبة" قال: أوَ ليسا واحدا؟ قال: " لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها "(٣).

ثالثا: توسيع البحث في الآيات المماثلة:

من مميزات هذه النظرية أن الخطابي يستعرض نظيرات الآية التي حصل فيها الأشكال ليجيب عنها، وذلك قطع لمداخل النزاع، وجمع لأطراف التشابه الأسلوبي الذي يحتمل أن يتناوله الإشكال، ففي قوله تعالى: " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ..." وقع الإشكال في مناسبة حرف الكاف، فأجاب عن ذلك ثم جاء بآيات أُخر فيها حرف الكاف نفسه، وسلك معها الإجراء ذاته (٤).

وهذا يؤكد أن نظرية (عمود البلاغة) منسجمة مع البيان القرآني، فإذا توجّه

---

(١) لغة مشهورة عند النحاة، انظر: الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٢/ ٤١. وانظر: كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، دار الكتب العلمية – لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، ٢/ ٢٧٣.

(٢) انظر: بيان إعجاز القرآن: ٣٣، ٣٤ .

(٣) أخرجه الدار قطني برقم (٢٠٥٥).

(٤) انظر: بيان إعجاز القرآن : ٤٠.

الإشكال نحو آية ما أزاله بنظيراتها، وبيّن أن ذلك ليس مما انفردت به هذه الآية بل هو حاضر في آياتٍ أخر، كاستشكالهم دخول حرف الجر بعد الأفعال التي تتعدى دون ذلك الحرف، وساقوا مثالا بقوله تعالى: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ..."، فالباء في قوله: " بإلحاد " موضع إشكال في نظرهم وزائدة، فأجابهم الخطابي بأن ذلك مما عرفته العرب في لغتها، وارتضته على لسانها، وهو حاضر في غير هذه الآية كقوله تعالى: " تَنبُتُ بِالدُّهْنِ"، وقوله تعالى: " أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ".

رابعا: الموازنة بين الألفاظ والتراكيب:

قامت النظرية بأركان ثلاثة، عنيت بها وجعلتها في مرتبة واحدة، وهذه الأركان (لفظ، ومعنى، وتركيب)، فاللفظ في فصاحته، والمعنى في صحته، والتركيب في تناسقه، ولم تغفل النظرية ذلك في تطبيقاتها، كما هو ظاهر في ثنايا هذه الدراسة، والتوازن في النظريات مطلب لا غنى عنه حتى لا يطغى جانب على آخر.

خامسا: استعراض الإشكالات البلاغية والإجابة عنها :

وهذا ظاهر وبارز في منهج الخطابي، فإنه ابتدأ بذكر الإشكالات العامة لتفسير سر البلاغة القرآنية، وأجاب عنها واختار أقربها وبنى عليها نظريته، ثم انطلق من هذه النظرية يستعرض الإشكالات البلاغية وسبب الإشكال الخاص والعام، ثم أجاب عنها واحدة واحدة، بجمع النظير إلى نظيره والاعتماد على سمت العرب في كلامهم من خلال شعرهم ونثرهم.

سادسا: توظيف القواعد الشرعية في حل الإشكالات القرآنية:

من مميزات هذه النظرية التوظيف البديع للقواعد الشرعية في حل الإشكالات القرآنية؛ ففي قوله تعالى: " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ..." أجاب الخطابي أولاً عن الكاف، وربط بينها وبين قسمة الأنفال التي جاءت قبلها، فاستشكل بعضهم ذلك

الربط؛ لما بينهما من فاصل طويل يُباعد بين فصول الكلام وأجزائه، لكن الخطابي رأى أن الفاصل وإن طال إنما هو تفصيل وبيان للكلام الأول لا بد منه، ثم عطف عليه قوله تعالى: " كما أخرجك ربك من بيتك ..." يقول الخطابي مجيباً على من قال بطول الفاصل: "لم يدخل بينه وبين أول ما يتصل به، إنما قال: (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم وصف هذا الإيمان وحقيقته؛ إذ كان هذا الاسم يقع على أمر ذي شعب وأجزاء يلزم أدناه من ذلك ما يلزم أقصاه فلو لم يستوفه بالصفة الجامعة معه لم يبن معه المراد، ثم عطف بالكلام على أول الفصل فقال: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون)، فشبه كراهتهم ما جرى في أمر الأنفال وقسمها بالكراهة في مخرجه من بيته وكل ما لا يتم الكلام إلا به من صفة وصلة فهو كنفس الكلام"(١)، ومن قواعد علماء الأصول: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" (٢)، ويسمى مقدمة الواجب، فالوضوء مثلا لا يتم إلا بجلب الماء، فجلب الماء واجب، وفي الآية ذكر الله الإيمان ثم بينه وفصله؛ لأنه أجزاء لا ينفك بعضها عن بعض، ثم جاء بموقف الصحابة وقت خروجهم لبدر ووصفهم بالإيمان.

ومن شواهد استثمار القواعد الشرعية كذلك حديث الخطابي عن قوله تعالى: "لا تحرك به لسانك لتعجل به، إنا علينا جمعه وقرآنه"، فقد اعترض بعضهم على بلاغة الآية لعدم مناسبتها للسياق، فإنها سبقت بقوله تعالى: " بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره "، وجاء بعدها قوله: "كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة" والرباط الناظم بين المعنى والسياق غير ظاهر، فأجاب الخطابي معتمداً على

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٤١.

(٢) انظر: كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، للشيخ محمد صدقي آل بورنو، مؤسسة الرسالة العالمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م : ٣٩٣.

القاعدة الشرعية: " لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة"(١)؛ إذ إن الحاجة دعت إلى هذا الفاصل فلا ينبغي تجاوزه، يقول الخطابي: " هذا عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره لم يجز تركه ولا تأخيره عن وقته، كقولك للرجل وأنت تحدثه بحديث فيشتغل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل عليَّ واسمع ما أقول وافهم عني ونحو هذا من الكلام، ثم تصل حديثك ولا تكون بذلك خارجا عن الكلام الأول قاطعا له، إنما تكون به مستوصلا للكلام مستعيداً له "(٢).

سابعا: الإفادة من القواعد المنطقية:

ومن مميزات هذه النظرية ومنطلقاتها: مزج القواعد المنطقية بالأساليب البيانية، فقد عاب بعضهم الحذف في قوله تعالى: " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى"؛ إذ حذفت الآية جواب الشرط (لو)، وابتدأ الخطابي جوابه بذكر فضيلة الحذف وأنه لون من ألوان البلاغة لا سيما إن ورد في المذكور ما يدل على المحذوف ثم قال: " المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به " (٣)، وهي قاعد منطقية يذكرها لعماء الأصول (٤)، والآية تتحدث عن عظمة القرآن الكريم وتأثيره، فلو وُجد قرآن تُسيَّر به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى لكان هذا القرآن.

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر لا بن قدامة، تقديم وشرح: د. شعبان محمد إسماعيل الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ١/ ٥٣٤.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٤١.

(٣) السابق: ٤٢ .

(٤) انظر: أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهَ جَهُلهُ للشيخ أ.د: عياض بن نامي السلمي، الناشر: دار التدمرية، الرياض – السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م : ٣٧٤.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من نبي بعده، أما بعد ..

فإن هذه الدراسة قد خلصت إلى نتائج، منها:

أولا: أن لنظرية (عمود البلاغة) قيمة علمية لعناية الخطابي بها وإجراء كثير من التطبيقات على الآيات القرآنية.

ثانيا: قدرة نظرية (عمود البلاغة) على صد كثير من الشبه التي تحوم حول بلاغة القرآن الكريم وتثير الإشكالات حول أسلوبه.

ثالثا: أن هذه النظرية قد بناها الخطابي على طريقة العرب في أسلوبها وبيانها.

رابعا: كثير من الإشكالات حول بلاغة القرآن الكريم سببه الجهل بطريقة العرب الأولى التي نزل بها القرآن الكريم.

ومن أبرز التوصيات:

أولا: ضرورة العناية بالتطبيقات الموسعة للنظريات البلاغية والآراء لمعرفة إمكانها وفاعيلتها.

ثانيا: أهمية تفعيل دور العلوم الشرعية مع البلاغة لبيان أساليب القرآن وبلاغته.

ثالثا: الاستقراء التاريخي للآراء العلمية التي دونها العلماء المتقدمون وبسطها وبيان سماتها.

رابعا: إقامة الدراسات المقارنة بين الجهود العلمية في مجال البلاغة وبيان أوجه التقائها ومفارقتها.

المراجع والمصادر

١) أساليب بلاغية لأحمد مطلوب الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.

٢) الأمالي لأبي علي القالي عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

٣) الأنساب للسمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان ودار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤) أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهَ جَهْلُهُ للشيخ أ.د: عياض بن نامي السلمي الناشر: دار التدمرية، الرياض – السعودية الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥) البيان والتبيين للجاحظ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ.

٦) بيان إعجاز القرآن للخطابي ومعه رسالة للقاضي عياض من كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا-مصر الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٧) تفسير الطبري تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر.

٨) تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي وضع حواشيه: زكريا عميرات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م .

٩) ديوان الراعي النميري جمعه وحققه راينهرت فاييرت، طباعة ونشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٤٠١هـ.

١٠) ديوان المهلهل بن ربيعة بشرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية.

١١) دلائل الإعجاز المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

١٢) الرسائل للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة عام النشر: ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.

١٣) روضة الناظر وجنة المناظر لا بن قدامة قدم له وشرحه الدكتور شعبان محمد إسماعيل الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م.

١٤) سر صناعة الإعراب لابن جني دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

١٥) الصحاح للجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٦) سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيقي مجموعة من العلماء لمجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢٠) كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ، للشيخ محمد صدقي آل بورنو مؤسسة الرسالة العالمية بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢١) الكتاب لسيبويه المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٢) اللغة والإبداع الأدبي د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

١٨) عصور الاحتجاج في النحو العربي د. محمد إبراهيم عبادة.

١٧) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: محمد بن محمد حسن شُرَّاب

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.
١٩) فصول في فقه العربية د. رمضان عبدالتواب، القاهرة مكتب الخانجي: ١٩٩٩م.
٢٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: نعيم زرزور الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٦) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة ، المجلد الثالث: تحقيق / د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه) الناشر: مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٢٣) لسان العرب لابن منظور الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٤) معالم السنن وهو شرح لسنن أبي داود، طبَعهُ وصححه: محمد راغب الطباخ، في المطبعة العلمية بحلب الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٢٥) معجم البلدان لياقوت الحموي الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
٢٨) وفَيَات الأعيان لابن خلكان المحقق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.